منهوم القلق

عند سورين كيركيجارد[1]

بقلم الخوري انطون حبد مروان

١ — عصرنا وقضية الانسان .
٢ — اشكالية[2] القلق عند كيركيجارد .
٣ — نحو تحديد للقلق .
ا — القلق بين الحرية والخطيئة :
القلق والعدم — العدم والامكانية[3] — الامكانية والازدواج[4] .
ب — القلق في من يقلق .
٤ — التاريخ بين الخطيئة والقلق .
٥ — القلق والايمان .
٦ — ملاحظات اخيرة .

عصرنا وقضية الانسان

قيل : الانسان «مكان الوجود»[5] . ذلك انه وحده يلتفت نحو الوجود ؛ سائلاً ؛ غير راضٍ بالمعطى المباشر ؛ وساعياً وراء الكشف عن الابعاد الحقيقية التي تركزه في الوجود . وسؤاله لا يرتاح الى جواب ، وهل من كلمة اخيرة

---

١) نعتمد في دراستنا على ترجمة الاب كورنيليو فابرو الايطالية:
Soeren Kierkegaard, *Il Concetto dell' angoscia*, Sansoni-Firenze 1953 .
٢) اشكالية Problématique
٣) الامكانية Possibilité
٤) الازدواج Ambiguité
٥) انها من قول هيدجر .

في قضية الانسان ؟ لماذا كان تفكير تاريخ واطوار . وان بقي السائل هو عينه . والسؤال لم يتبدل .

هناك طور ينظر فيه الانسان الى الوجود نظرة الآمن . لانه يشعر بدبيب بارتباطه بنظام خارجي كوني يضمن له وجوده . قد يكون هذا النظام من وضع كائن هو الوجود بالذات . وسبب الموجودات التي تنبثق منه . وتنتظم في الوجود نسبةً اليه . او يكون التاريخ كسير حتمي . لا وجود فيه للفرد الا اذا جاء نتيجة لتاريخ . واذا لم تكن مراحل حياته الفردية خلاصة وصورة سريعة مصغرة لمراحل التاريخ كلها . وفي كلا الاتجاهين . نحن امام نظام عضوي . ينظر فيه الى الجزء عن طريق الكل : والى الكثرة عن طريق الوحدة . لان « الحقيقة هي الكل »[1].

وهذا عين ما ثار عليه عصرنا الذي عالج قضية الانسان بشكل جذري : محرراً اياه من تلك النظريات الشاملة التي امتاز بها الجيل الثالث عشر والتاسع عشر . وواضعاً اياه امام نفسه : لان « الحقيقة هي الذاتية » . وهكذا يعارض كيركيجارد هيجل . فقطع الانسان المعاصر كل الصلات المعطية والمباشرة بالعالم . وبالتاريخ . وبذاته : حتى اصبح امام نفسه كمطلق ليس بما يعتمد عليه في الخارج . وبعد ذلك راح . رغبة في الاستعاضة عما خسر . يكتشف ويبعد : عن الجذر : عن تلك النقطة التي رجا ان يبرز منها فجأة الوجود الانساني : في كامل وجوده وصفاء معناه .

لا عجب اذن ان يكون لمفهوم القلق منزلة اساسية في الفكر الفلسفي المعاصر : لانه ابرز السبل التي سلكها هذا الفكر للبلوغ الى هذه الجذرية : حيث يبقى الانسان امام نفسه بين ان ينتحر لما هو اسمى منه فيلتقي بالوجود : وان يكتفي بذاته فيتغنى بالعدم . وبالواقع : فقد قاد القلق كيركيجارد الى ملء الوجود بدلا من العدم : لانه ابقاه على ارتباط جوهري باصوله المسيحية

اشكالية القلق عند كيركيجارد

ان القلق ظاهرة ملازمة للوجود الانساني القائم بين المادة والروح : بين الزمن والازلية : تسمو به حاجة الى اعلى : وتجره حاجات الى اسفل . لكن

(١) Hegel, *Phénoménologie de l'esprit*, « le vrai, c'est le tout ».

القلق . بنظر كيركيجارد . لم يبرز في حقيقته الا مع المسيحية التي سمت بمفهوم الروح . وبالتالي دعت الى توتر عنيف واليم بين الروح والجسد . والكتاب المقدس غني بمثل هذه المواقف التي يشتد فيها قلق النفس من وقوفها بين الله والعالم : والتاريخ المسيحي يحمل الينا امثالاً لا تزال تؤثر في النفوس « خلقتنا لك يا رب : وقلبنا لن يزال قلقاً حتى يرتاح فيك [1] » لكن التقليد المسيحي لم يترك اكثر من مثل هذه العبارات الوجيزة والصرخات القصيرة . لان الهم كان البلوغ الى الله . وكل ما زاد عن ذلك : فما استحق ان يوقف عنده .

لكن كيركيجارد توقف عند هذا المفهوم وعالجه معالجة كاملة . ولا يعجب من عرف انه يهتم عادة للشكل [2] قبل الموضوع ، وبكيفية [3] قبل الغاية [4] .

لقد سبق هيجل وحدد مفهوم القلق في مقدمته لفينومنولوجية الروح بانه « ضياع الوجدان المباشر بين الحدود الذي يبدو اذ ذاك كشيء لا قوام له [5] » .

لكن مفهوم القلق عند كيركيجارد غير ما هو عند هيجل : لان القلق ليس بالنسبة اليه واقعاً عابراً في تاريخ الوجدان كما هو شأنه عند هيجل : لكنه مرتبط بحياته الخاصة كعبارة غير مباشرة عما خبره كيركيجارد من القلق المقرون بالشعور بالخطيئة : وبالضعف امام الخير . وهذا ما جعله يشعر بفرديته بشكل حاد ، لم يرض معه ان يكون من اعضاء كنيسته ويلزم نفسه بمسؤولية القس : او ان يدخل المجتمع ويتزوج من خطيبته ريجينا .

« لا يعرف الانسان كيف تدخل الخطيئة الى العالم الا عن سبيل الاختبار الشخصي » [6] . « فالخطيئة ليست فيما نتيجة تجربة خارجة عن حرية الفرد ، هي تجربة الشيطان بنظر لوتير ، وليست ، كما يقول هيجل : السلبية التي يضعها الوجدان مرحلة تزول ضرورة بقوة الجدلية . لكن الخطيئة بعكس ذلك ، لانها « لا تفترض الا ذاتها » [7] دون ان يفرضها او يسببها او يشرحها

---

١) وردت هذه العبارة في « اعترافات » القديس اغوسطينوس .
٢) الشكل : le mode
٣) الكيفية : le comment
٤) الغاية : le terme
٥) مفهوم القلق ص ٦١ وندل اليه هكذا : م.ق.
٦) م.ق. ص ٣٨

عنصر خـــارجي عن الحرية [1] فهي فعل الفرد في حريته ومن حريته . وهي « القفزة الكيفية » [2] . وهي كذلك في فجر التاريخ مع آدم . وفي تاريخ كل فرد . « فلا ينحصر مفهوم الخطيئة اذن فـــي نطاق علم معين » [3] لذلك كانت الخطيئة بالنسبة الى العقل . كالهوة . يدور حولها ويقاربها دون ان يدخل اليها . وهذا ما يرمي اليه كيركيجارد في مفهوم القلق » وهو ان يرى كيف ان « القلق يمهد للخطيئة ويظهر كامكانيتها الفعلية » [4] . لكن لعلم النفس حدوداً . اذ « يستطيع ان يهتم بشكل حدوث الخطيئة لا بواقـــع حدوثها » [5] . فعالم النفس . من خلال القلق . يستطيع ان يبلغ الى اخر نقطة يمكن البلوغ اليها قبل ان تقع الخطيئة : الى تلك النقطة التي يبدو فيها ان الخطيئة قد وقعت : لكن ذلك وهم . لان الخطيئة مفاجأة وجديد . ولان علم النفس يوسع مجال القلق الى حد يظهر معه . « ان الطبيعة الانسانية تحمل في ذاتها الامكانية الفعلية والحقيقية للخطيئة » [6] . وعلى هذا الاساس يظهر القلق كممهد للخطيئة الاصلية (الفصل الاول) ثم كاتساع وانتشار لها (الفصل الثاني) وبعد ان تدخل الخطيئة التاريخ . تاريخ الشعوب وتاريخ الافراد ؛ يتخذ القلق مظاهر كثيرة ومتنوعة . تختلف من شعب الى آخر (الفصل الثالث) ومن فرد الى آخر (الفصل الرابع) . لكن القلق بالرغم من اقترانه بالخطيئة ، يحمل في ذاته امكانية الخلاص من الخطيئة بواسطة الايمان (الفصل الخامس) .

نحو تحديد القلق

للقلق اذن ؛ من الشمول والعمق في الوجود الانساني . ما يجعله يظهر بمظاهر المقولات العلوية [7] . يلازم الانسان في تاريخه الفردي والجنسي معاً ؛ يقوده الى اليأس او الايمان ؛ يعثره بين اوبقات الزمن او يدفعه نحو الابدية .

---

١) م.ق. ص ٣٧
٢) م.ق. ص ٣٨ « le saut qualitatif »
٣) م.ق. ص ٢٥
٤) م.ق. ص ٢٥
٥) م.ق. ص ٢٥
٦) م.ق. ص ٢٧
٧) Les catégories transcendantales

انه امكانية لخالات كثيرة ومتناقضة : ولذلك فهو الشعور الذي يستطيع ان يكشف عن كلية وجودنا الانساني : وان يشير بالتالي ، مهما كان واقع هذا الوجود . الى الشكل الذي تكمل معه هذه الكلية . وهذا ما حدا كيركيجارد على ان يصف القلق . بانه مقولة وسيطة [1] بين الامكانية والحقيقة : فمن جهل وجود تلك الوساطة او معناها : لم ينله من جهله الا الخسارة . « على كل انسان ان يمر بالقلق حتى يخسر نفسه . اما لانه لم يعرف القلق : واما لانه يأتي اسيره » [2] .

سوف لا نتبع كيركيجارد في تحاليله الواسعة والدقيقة . لئلا ندفع بالقارئ الى قضايا لا تهم الا اللاهوتيين : كما اننا لا نسلك سبيل الكثيرين ممن علمنوا هذا المفهوم وقطعوه عن اصوله المسيحية . نهجنا وسط ، نرمي معه اولا الى ابقاء هذا المفهوم في لونه الكيركيجارد : اي في معناه المسيحي : وثانياً الى ربطه احكم الربط بصيرورة الفرد .

القلق بين الحرية والخطيئة

يسمو كيركيجارد بالواقع التاريخي — واقع الانسان يكون في اول ما يكون : في حالة البراءة : ثم يفقدها بالخطيئة — الى عالم الجوهر ، متسائلاً عن طبيعة هذه البراءة وكيفية فقدانها . لقد عرّف هيجل البراءة بانها الواقع المباشر [3] الذي يزول من حيث انه مباشر : فرد كيركيجارد بان البراءة حالة يمكنها ان تدوم ، « وليست حالة نقص يجب ان يُخرج منها » [4] ومع ذلك فلم تدم البراءة ، لان « آدم فقدها بالخطيئة : كما يفقدها كل انسان بعده » [5] وهنا تكون عقدة المشكلة : كيف يُنتقل من البراءة الى الخطيئة ، او بتعبير كيركيجارد : من الضد الى ضده : طالما الخطيئة هي المفاجأة والجديد : « الخطيئة لا تفترض الا ذاتها » [6] والبراءة هي حالة ليس ما يمنعها ان تستقيم.

---

(١) Catégorie intermédiaire
(٢) م.ق. — ص ١٩٣
(٣) م.ق. — ص ٤٢ L'immédiat
(٤) م.ق. — ص ٤٥
(٥) م.ق. — ص ٤٣
(٦) م.ق. — ص ١٤٠

في هذه العقدة وفي هذه النقطة بين البراءة والخطيئة . يظهر القلق في حقيقته جدلية . اذ يكشف للحرية عن واقعها كامكانية من جهة . ويكبل هذه الحرية ويحرمها كل قدرة على مجابهة الخطيئة من جهة اخرى .

« ان البراءة جهل . والجهل دليل على ان الانسان لم يبلغ درجة الروح ؛ لكنه لا يزال محصوراً في واقعه المعطى . ان الروح لم يستيقظ بعد في هذه الحالة . وهذا تأويل يتفق مع ما جاء في الكتاب المقدس . من ان آدم لم يكن يميز بين الخير والشر في حالة البراءة ... ان هذه حالة سلام وراحة .. لكن هناك شيئاً آخر . ليس لا اضطراباً ولا صراعاً ؛ انه العدم ؛ والعدم يولد القلق ... فالبراءة هي في الوقت عينه قلق ... قلق الروح امام حقيقته التي تتراءى امام امكانيته . فيود ان يمسكها ؛ لكنها تتبدد من امامه . وهذه الحقيقة هي عدم يستطيع فقط ان يقلقه »[1] « اما الحيوان فلا يقلق . لان حقيقته تقتصر على وجوده الطبيعي ؛ بينما القلق في الانسان هو حقيقة الحرية كامكانية للامكانية »[2] نقلنا هذا المقطع الطويل نظراً لاهميته من تحديد القلق :

لا يقلق الحيوان ؛ لان حقيقته كاملة في طبيعته ؛ فهو ؛ ما طُبع عليه ان يكون . ليست له اية امكانية . لانه ليس روحاً ؛ فهو كله في قبضة الماضي .

اما الانسان فيقلق . لانه روح طبعاً ؛ فلا ترتبط حقيقته بطبيعته . او بأي واقع محدد . وان كانت البراءة هذا الواقع . ان حقيقته ليست معطية ؛ فهي ابعد من ان تُحد او تمسك ؛ لذلك كان اقتها العدم .

القلق والعدم : لكن كيف تكون حقيقة الروح العدم ؟ ان الروح . كما قلنا ؛ لا يرتبط بواقع معطى ؛ لانه ينفسح لكل امكانية ، وبالتالي لا يُعرّف بحقيقة معينة ؛ بقدر ما يُعرّف بكونه « عدماً » اي نفياً لكل حقيقة معينة . يخاف الانسان من شيء معين يهدده من الخارج ؛ لكن القلق ليس له موضوع خارجي ومعين يسببه . ان موضوعه العدم . ومعنى ذلك هو ان القلق هو افراز داخلي للروح ؛ لانه ان كان موضوعه العدم ، اي عدم كل شيء خارجي ؛ فذلك دليل على ان القلق يلد منه وفيه فالروح يقلق اذن ؛ لانه يرى ان حقيقته هي دائماً بعيدة عن ان يبلغ اليها ، لان حقيقته تقوم على

---

١) م.ق. — ص ٥٠-٥١
٢) م.ق. — ص ٥١

التحرك الى ابعد من كل محدود . بفضل العدم الذي يحركه دائماً . وترى بعض الشبه بين كيركيجارد وفوما الاكويني مثلاً . لان هذا الاخير يعرّف النفس بانها « امكانية لان تصبح كل شيء » [1] . لكن الخلاف كبير بالواقع . لان الروح عند الاكويني يتصف بكونه انفتاحاً ايجابياً — انه امكانية لان يصبح كل شيء — بينما يتصف عند كيركيجارد بكونه انفتاحاً سلبياً — انه امكانية لان ينفي كل شيء محدود .

العدم والامكانية : ان الروح يقلق امام العدم ، لكن قلقه هو بالحقيقة قلق امام ذاته كامكانية تجوز كل حقيقة معطية . ولذا كان « القلق حقيقة الحرية كامكانية للامكانية » [2] « ويجب ان ينظر الى القلق من جانب الحرية » [3] لان الحرية لا تنكشف لذاتها الا في القلق . لكن ما الذي يربط القلق بالحرية . والحرية بالقلق ؟ — هو العدم . « لان الحرية غير محدودة . وتبرز من العدم » [4] . ان الحرية هي حرية . لانها تسمو عن كل محدود خارجي عنها ، قد يهدد كيانها ويضغط عليها فيأتي فعلها نتيجة لسبب خارجي بدلاً من ان يكون « القفزة الكيفية » التي لا تفترض الا ذاتها . فلا عجب ، مع مفهوم للحرية كهذا ، ان يكون « القلق ظهور الحرية امام نفسها في امكانيتها » [5] « وان يكون انكشافها لنفسها وبنفسها في قلق الامكانية » [6] . فالقلق ، بقوة العدم العامل فيه ، يجمع الروح الى ذاته في حرية صافية من كل معين ، وهي مجرد امكانية . وما كان امكانية ، فهو ليس حقيقة ، لكن في طريقه الى الحقيقة ، فالامكانية في الحرية تدل على ان الحرية ليست معينة [7] في ذاتها ، والا لاصبحت طبيعة وبطلت ان تكون حرية ، وانها ليست معينة من الخارج ، والا لفقدت الحرية استقلالها وذاتيتها . فالقلق يعني في النهاية ان الحرية ، ترتفع بفضل العدم فوق المحدود — من ذاتها ومن الخارج — فتنعكس في ذاتها كامكانية للامكانية . وهذه هي جذرية القلق .

---

١) الخلاصة ضد الامم . الكتاب الثاني ، الفصل السابع والاربعون .
٢) م.ق. — ص ٥١
٣) م.ق. — ص ٨١
٤) م.ق. — ص ١٤٠
٥) م.ق. — ص ١٣٩
٦) م.ق. — ص ٩٤
٧) معين : déterminé

الامكانية والازدواج : ويقف الحرية الآن في بحر الامكانية . امكانية هذا الشيء او ذاك دون ان تساعدها اشارة خارجية على الاختيار . ولذا يبدو القلق مرتبطاً بالازدواج فهو « ميل الى ما يكره وكره لما يميل اليه »[1] وهو حب لما يخاف . وخوف مما يحب . فالقلق الذي كشف لحرية عن حريتها[2] بالنسبة لكل محدود . يظهر الآن كقلق عليها . يقيدها لا بشيء خارجي لكن في ذاتها كحرية . « ان الذي خطئ بسبب القلق هو بريء لان القلق تسلط عليه كقوة غريبة لا يحبها بل يخشاها ... ومع ذلك فهو خاطئ لانه سمح بالقلق الذي يجب بالرغم من خوفه منه »[3] . هنا تنغلق الدائرة .[4] لان الانسان في الحرية او القلق . او الخطيئة : يخضع لجدلية باطنية . هي جدلية الروح الذي يسعى لاكتشاف ذاته من ضمن ذاته : وتطهير ذاته من كل عنصر خارجي . ولا نسرح الى الاعتقاد بان الخطيئة تكسر هذه الدائرة . ان الخطيئة هي « قفزة كيفية » طبعاً . لكنها لا تُعرّف بالنسبة لشريعة خارجية تخالفها . بل بالنسبة الى الحرية . « ان الخطيئة هي عكس الحرية »[5] . فهل تحرر كيركيجارد بالفعل من تأثير هيجل ؟

القلق في من يقلق

كشف القلق للحرية ١ً ـ عن عدمها : فهي ليست واقعاً جامداً : لكنها ٢ً ـ امكانية : لا امكانية انفعالية[6] بل ٣ً ـ امكانية جدلية : وهذا هو الازدواج في القلق . فما معنى هذه المظاهر في الوجود الانساني : والى ما تعود جوهرياً ؟

« كيف يظهر القلق ؟ ان الانسان هو مركب من نفس وجسد يتحدان في ثالث هو الروح . ان الروح قوة معادية : تزعزع دائماً علاقة النفس

---

١) م.ق. — ص ١ د «L'angoisse est une sympathie antipathique, et une antipathie sympathique».

٢) حرية : transcendance

٣) م.ق. — ص ٢ د

٤) Dialectique immanente

٥) م.ق. — ص ١٣٥

٦) انفعالية passive

بالجسد ، وهو قوة صديقة تريد تثبيت هذه العلاقة . فما علاقة الانسان بالروح ؛ وعلاقة الروح بذاته وبواقعه ؟ انها علاقة تقوم على القلق » [١] .

يلازم القلق الروح . لا كروح . لكن في علاقته مع الجسد . ويزداد القلق بقدر ما يتسع المدى بين الطرفين . ويبدو ان الجسد هو معاكس للروح. لذلك يكاد يقارب الوجود الانساني في طوره الاول الوجود الحيواني ؛ لان الروح يلازم نوعاً النفس والجسد في وجودهما المباشر . « لكن عندما يثبّت الروح ذاته كروح . اي كقوة اسمى من الجسد والنفس: يثبّت بالفعل ذاته علاقته بالمركب بعد ان يكون قد ميز عنصريه » [٢] فالانسان هو روح بفضل الجسد: وذلك ان الروح لا يظهر في ذاته الا بقدر ما يوضع الجسد في فارقه الجنسي ، كأن التمييز الجنسي هو الذي يوقظ الروح ، ويدفعه الى الحركة وبالتالي الى التاريخ . « ليس من تمييز جنسي بدون الخطيئة . كما انه ليس من تاريخ بدون التمييز الجنسي .. لان المركب يوضع في العلاقة الجنسية بشكل تناقض ، لكن التناقض[٣] دعوة للعمل الذي يبدأ معه التاريخ »[٤] ان الجسد هو الذي يدخل الروح في التاريخ : ويدفعه الى العمل ؛ وعمله الرئيسي هو ان يثبّت ذاته كروح في علاقته مع المركب ؛ وهنا ينفسح المجال للقلق ، لان الروح لا يستطيع ان يندمج مع المركب ، كما انه لا يستطيع ان يروض المركب .

التاريخ بين الخطيئة والقلق

ان التاريخ ، بنظر هيجل ، جوهر قائم بذاته ، ذو حركة منطقية ، باطنية ، متتابعة ، في سبيل تحقيق المعرفة المطلقة حيث عينية الذات والموضوع. فالتاريخ اذن وحدة وكلية لا وجود فيه للفرد وللحرية الا كوقت يمر وينتظم في هذه الكلية . لكن الخطيئة تقلب هذه النظرية « فلو لم يخطئ آدم ، لكان انتقل في الوقت ذاته الى الابدية » [٥] ويعني بذلك كيركيجارد ان المستقبل ،

---

١) م.ق. — ص ٥٣ .
٢) م.ق. — ص ٥٩
٣) La contradiction est une tâche
٤) م.ق. — ص ٥٩.
٥) م.ق — ص ١١٥

في زمن لم تقع فيه الخطيئة . « يعني الكل » [1] . اي ان المستقبل هو الابدية. ويرى في ذلك ان كيركيجارد يقبل بالمفهوم اللاهوتي للتاريخ لو لم تقع الخطيئة . لكن الخطيئة واقع لا يستطيع التاريخ ان يتجاهله . وبالفعل فان كيركيجارد يعالج قضية التاريخ عن طريق اهتمامه في وضع علاقة بين خطيئة آدم والخطيئة الاصلية . تحفظ للخطيئة فرديتها وللتاريخ وحدته ؛ كأنه يعني بذلك ان الخطيئة هي باعث التاريخ ومحركه . فلا معنى لتاريخ ضاع فيه الحدث الفردي في الكلية . وهل من سبيل الى ذلك . طبعا الخطيئة هي دائما المفاجأة والجديد . تجزئ الزمن وتميز الفارق الجنسي ؛ وبالتالي تقف في وجه تحقيق الكلية ضمن التاريخ ؟ ان كانت الخطيئة باعثاً للتاريخ ؛ فذلك ، لان الخطيئة الاولى . ليست اولى بحسب النسبة العددية ، والا لما نتج عنها تاريخ » [2]. لكن الخطيئة . هي ؛ كما ذكرنا ؛ الكيفية والمفاجأة . والجديد ؛ تفترض الحرية وتميز الفرد . وبذلك تحطم المفهوم اللاهوتي للتاريخ . مشيرة الى انه ليس من معنى للتاريخ في ذاته .

ان المقومات البديهية للتاريخ هي وحدة وكثرة ضمن ابعاد زمنية تختلف . فالخطيئة تكون باعثاً للتاريخ . لانها تكشف هذه المقومات وتفك عقدها . ان الزمن ؛ بدون الخطيئة ؛ « كالتتابع اللامحدود » [3] وهذا تصور فضائي له ؛ لكن الخطيئة . في الوقت [4] الذي تحدث فيه ؛ توقف مثل هذا التتابع ؛ كأن ينفرد هذا الوقت نظراً لاهميته ؛ وبالتالي يكيف [5] الزمن ؛ مميزاً بين ابعاده . والخطيئة هي ايضاً التي قادت الفرد لان « يميز الفارق الجنسي » [6] فيشعر بفرديته من جهة دون ان يكون عدداً منقطعاً من جهة اخرى ؛ لان الفارق الجنسي لم يميزه الا ليربطه بالوقت عينه ؛ بفضل التناسل ؛ بالجنس كله .

لكن الخطيئة لم تركز مقومات التاريخ من وضع الفرد في ذاته وفي الجنس بفضل التناسل ؛ ومن ادخاله الوقت الفاصل بين ماض ومستقبل ؛ بل قد بدلت معنى التاريخ وانتظام مقوماته اذ دعت الى « ملء الازمنة » حيث تجسد

---

١) م.ق — ص ١١١
٢) م.ق — ص ٣٦
٣) م.ق — ص ١٠٧ « Succession infinie »
٤) Le moment
٥) Qualifie
٦) م.ق — ص ٥٨

الانسان فدخل التاريخ كشكل فرد منا ؛ وحيث انحست والتقت ابعاد الزمن امده الازلية المنفتحة على الزمن ، لتعطيه معنى يسمو افقه . وهذا ما عرّف عنه كيركيجارد « بمشكلة ليسنغ » هل يمكن ان يرتكز خلاص ابدي على حدث تاريخي ؟ وهل يأخذ التاريخ معناه كاملاً من ذاته . او يجب ان يأخذه من اعلى ؟

اما القلق . فهل زال من التاريخ بعد ان مهد للخطيئة الاولى في آدم ؟ وهل يزول من تاريخ الفرد بعد ان يمهد فيه لخطيئته الاولى ؟ لا . فالقلق يتراكم في تاريخ الجنس وتاريخ الفرد معاً بعد الخطيئة وبفضلها ؛ دون ان يحصل عن ذلك تبدل جوهري في مفهومه . ان القلق في آدم وفي كل فرد من بعده ، قبل الخطيئة وبعدها ، هو عينه من الناحية الكيفية ؛ لكن الخطيئة تبدله كمياً . اذ يزداد القلق في التاريخ بفضل « العلاقة التناسلية » [1] « والعلاقة التاريخية » [2].

ان العلاقة التناسلية تضمن للتاريخ وحدته وتتابعه ؛ لان الفرد ، بفضل التناسل ، هو ذاته والجنس معاً . والعلاقة التناسلية هي التي يزداد عن طريقها القلق في التاريخ « لان القلق » اشد انعكاساً في الفرد المشتق منه في الفرد الاصيل » [3] فآدم مثلاً اقل قلقاً من حواء لانها مشتقة منه . فالزيادة في القلق الناتجة من العلاقة التناسلية ؛ تعود في اصلها الى كون التناسل يعطي الجسد اهمية كبرى بالنسبة الى الروح لأن الروح يشعر بشدة ان لا وجود ولا بقاء له الا بالجسد ، وهذا هو القلق ان يشعر الروح بانه غريب عن الجسد ومضطر بالوقت عينه للارتباط به ؛ « فالفارق الجنسي هو عبارة عن هذا التناقض الواسع الذي يقوم بان يكون الروح الخالد محدداً كنوع » [4] .

ويزداد القلق عن طريق العلاقة التاريخية ايضاً ؛ والمعني بذلك هو ان القلق يزداد مع الزمن ويختلف من بيئة الى اخرى. ولذا نرى ان القلق يبدو في المسيحية اقوى منه في اية بيئة اخرى . لان المسيحية سمت بالروح الى حد ظهر معه الجسد مقروناً بالخطيئة اكثر منه بالروح . « فاذا ما انتبه الفرد الى هذه المعرفة

---

١) م.ق — ص ٧٦—٩٠ Le rapport de la génération

٢) م.ق — ص ٩٠—٩٣ Le rapport historique

٣) م.ق.ص — ٧٧—٧٨

٤) م.ق — ص ٨٥ « La sexualité est l'expression de cette immense contradiction entre l'esprit immortel et sa détermination générique.

الكتبة عن بيئته : ناسياً انه حر ، بالرغم من ارتباطه بالجنس وبالتاريخ . بلغ القلق منه الذروة »[1] .

وتتنوع مظاهر القلق في التاريخ : اذ انه يقترن مثلاً بالقدر عند الاغريقيين او « بعصيان الشريعة »[2] عند العبرانيين : كما تتنوع من فرد الى آخر . واشكال القلق في الفرد كثيرة : اهمها «قلق الشر »[3] وفيه يرى الفرد ان الخطيئة واقع لا مبرر له . وبالتالي يرجو الخلاص منها . «وقلق الخير »[4] فيه يريد الانسان ان يبقى في الشر معتصما في اللا ــ حرية : والعصيان ، والفراغ والريبة .

القلق والايمان

لقد انتهى بنا القلق ، بعد ان اكتملت دورته في فضاء الروح ، الى جذر الحرية ، الى تلك النقطة منها ، التي هي اعمق من مقاصدها المتابعة واختياراتها المتقطعة ، حيث يظهر القلق شعوراً فعلياً بالكلية الانسانية ، وبالتالي باعثاً لان تجد هذه الكلية وجودها ومعناها كاملين في الايمان . كأن القلق قد اكمل سلبيته في الانسان وفيما يعتمد عليه مباشرة ، حتى خبر عدم حريته التي لا تجد خلاصاً لها الا في ايجابية هي اسمى منها وابعد من حدودها : هي ايجابية الايمان .

«ان الحدود ، مهما علا شأنه ، يؤدب بشكل محدود . لان افق الانسان لا يتسع فيه الى ابعد مما حوله»[5] . لكن القلق «يؤدب مطلقاً »[6] . «فمن اديه القلق تأدب بواسطة الامكانية ، ومن ادبته الامكانية : تأدب على قياس لا ــ نهايته »[7] فالامكانية في القلق تدل على ان الانسان ليس مقيداً بواقع او مرتبطاً بمحدود ، انما هو انفتاح للا محدود ؛ وهكذا يدفع القلق بالانسان ، عن طريق الامكانية ، الى الايمان وهو «اليقين الباطني الذي يمسك باللامحدود »[8] . ومعنى ذلك هو ان الانسان لا يجد حقيقة وجوده في ذاته او فيما حوله ، حقيقته في الايمان

---

١) م.ق ــ ص ٩٠ و٩٢

٢) faute

٣) م.ق ــ ص ١٤١–١٤٧

٤) م.ق ــ ص ١٤٧–١٩٣ L'angoisse du Bien (le Démoniaque)

٥) م.ق ــ ص ١٥٩

٦) L'angoisse éduque absolument

٧) م.ق ــ ص ١٩٥

٨) م.ق ــ ص ١٩٥ « La foi est la certitude intérieure qui anticipe »

وهو «النقطة خارج العالم» «ونقطة ارخيمدوس الذي يستطيع ان يحرك منها العالم كله» . ان وجود الانسان لا يكتمل من هذا العالم «والقلق هو . في العالم . الدليل الوحيد لغرابتنا عنه . . . وهو كالنار التي يجب ان نلمح فيها . لنتجو من خراب هذا الجبل» .[1]

ملاحظات اخيرة .

قلنا ان كيركيجارد انطلق في تحاليله من واقع تاريخي . هو خطيئة آدم . فهل حافظ فعلاً على الاصل التاريخي . او اصبحت قصة الخطيئة الاولى . رواية تعبر بشكل مصور ومأساتي عما يختبره كل فرد عند خطيئته الاولى ؟

وبالتالي هل حافظ على مفهوم الخطيئة الحقيقي : بان تكون معصية لله وقطعاً لعلاقتنا به . لا وقتاً في جدلية الروح الباطنية ؟

وبنوع اخص . هل ادت جذرية القلق الى الوجود الحقيقي . وبالنسبة الى كيركيجارد : الى الايمان الحقيقي ؟

وبعبارة اوضح : هل تحرر كيركيجارد من هيجل : واستطاع ان يحطم الدائرة الوجدانية . ليتقبل الوجود من غير ذاته : وينفتح حقيقة للعلوية ؟[2]

ذكرنا فيما سبق . ان كيركيجارد حافظ للقلق على اصوله المسيحية . ومع ذلك : فان طريقته اقرب الى الطريقة الباطنية التي لا تتفق مع ما تفترضه المسيحية من وقائع تاريخية لا تذوب في جدلية الوجدان . وحقائق علوية موضوعية هي قياس للانسان : فلا تصبح ابداً من ذاته .

يقول كيركيجارد في مقدمته : «ان السلبية هي باطنية الحركة»[3] «فالقلق الذي حركنا بتنبيه لكل محدود ، واوقفنا امام ذاتنا كامكانية ؛ هل يستطيع ؛ بقوة الامكانية : ان يجوز بنا الى الايمان ؛ وان يعطينا هذا «الجديد الوجودي»[4] الذي يعنيه الايمان ؟

والا لاصبح الايمان شكلاً جديداً للوجدان . وهو هكذا بالحقيقة : لان كيركيجارد ياخذ تعريفه للإيمان عن هيجل[5] . لكن هذا الايمان بعيد عن الايمان

---

١) م.ق — ص ٢٠٢
٢) transcendance
٣) م.ق — ص ١٤ « le négatif est l'immanence du mouvement »
٤) الجديد الوجودي : « le nouveau ontologique »
٥) م.ق — ص ٢٩٥

المسيحي . اذ لا يعتمد على واقع تاريخي وحقيقة موضوعية خارجية يقبل بها عن سبيل الطاعة لسلطة . بل يعني في الفرد « حيناً دائماً » الى اكثر روحانية . وأكثر باطنية واطلاقاً[1] .

وهنا يتضح معنى ما ذكرناه . عن ان القلق « مقولة وسيطة بين الامكانية وحقيقة » . أي ان الحركة الباطنية . الجدلية . التي تنتقل بالروح من شكل وجداني[2] الى شكل وجداني آخر . حتى تصبح الامكانية حقيقة . فتنتهي الوساطة . ففي هذه الذروة . ينطلق الذات[3] في وحدته مع ذاته . وينتهي تعس الوجدان . فلا عجب اذن . ان يعلمن الوجوديون مفهوم القلق . بالرغم من اعترافهم بدينهم لكيركيجارد : ودون ان يتريبوا من انهم بدلوا في المفهوم : فيبرروا موقفهم من كيركيجارد .

---

(١) Absoluité

(٢) figure de conscience

(٣) le sujet s'absolutise.